أيها الامبراطور المختار كنت موسيقى متوجة بالغار

سيناريو صوري

د. صلاح القصب

الضوء الأول
الزهور كانت تملأ الطرقات وكنت أنت الأمبراطور الذي يشدو في أمواج نهر صافية.

الضوء الثاني
عيناك كانت تتابع الطريق على الجداول، تتجول، مشعة، متألقة، باسمة وضمت بين ذراعيك الأزهار.

الضوء الثالث
ظلالك كانت هناك تستحم بأشعة الحب وفي بهاء الشمس كانت نظراتك مشعة كقبعة القمر الذهبية.

الضوء الرابع
فوق قمم زرق كنت أيها الأمبراطور فجر موسيقى متوجة بالغار.

الضوء الخامس
الأزهار جاءت من بعيد ترفع الحب مجداً.

الضوء السادس
جديد لمداراتك العالية انسجاماً تعرفه أنت وتسمعه.

الضوء السابع
أمطرت الغضون على الرمال المتوهجة وشموع عينيك ريح مشعة كضوء القمر الذي يتذكر سحر الزمن وتحيل النوافذ الأبنوسية إلى معين ابتهاج للوداع.

الضوء السابع
بريقك الفني متوج في مدن الألحان النحاسية يحلق بأجنحة من الذهب ويمخر كخيول الريح البحرية.

الضوء الثامن
اصطفت الزوارق في الهدوء الصافي كنهر من الذكريات تتعالى ويمر الصمت في أوراق الزمن وزرقته البحرية في الأعالي لحناً مختاراً يقفز في الهواء برقاً في صفاء الأفق.

الضوء التاسع
حشد من الألحان وقصائد الشعر تنتظرك في المكان الذي زرعت فيه الموسيقى.

الضوء العاشر
المرايا ما زالت واقفة تنتظر وجهك بينما أنت طائر مجنح وتسافر.

الضوء الحادي عشر
مبدع أنت أيقظت المجد بين السحب لقراءات ذات ألوان للبحر الواسع المفتوح وجمالات أقواس الأفق.

الضوء الثاني عشر
إبداعك كان أشدّ حرارة من الشمس، لؤلؤة تدهشنا وترفعنا إلى قمم مجدك الفني تنيره كريات كرستالية تدور وهي مشعة بالأنوار.

الضوء الثالث عشر
الساعات المفقودة تتمرغ في الماء وكنا نسمعها كدقات المناضد المملؤة بالمطر المرصوقة على أرصفة الموانئ التي تحمل لمسافات شاسعة وهناك تيار من المسافرين ينتظرون الزوارق كي تبحر بهم إلى مدن الأزهار الشتائية لترسم رحلة محلقة فوق الموج دون انقطاع.

الضوء الرابع عشر
غربتك كانت أكبر من عمر الجرف النهري وأكبر من عمر الجبل، ناراً تمس النار وبلا انقطاع.

الضوء الخامس عشر
مجدك المختار مثل تواريخ الأعياد، وفي الصباح قرأنا على الصحف كي نجد اسمك شعراً لزمن يسافر في المدن عبر الأفاق.

الضوء السادس عشر
أبصرت حلماً راح يرتفع بك على جناحين ذهبيين وجلست قبالة البحر وكان شروق الصباح الجميل قد أفل.

الضوء السابع عشر
فتحت مسافات الحلم والرايات التي حولك بتدو كأنها تصفق في الريح، تتحدث إلى أحلام جديدة والطيور المرسومة في أحلامك تريد الاسراع كي ترفع الشراع والزوارق بحللها البيض تتقدم نحوك مثل نجمة الصباح.

الضوء الثامن عشر
في حلمك تسلقت الجبل بعربات ملأى بأشجار وسفن وحشود وطيور وغابات وجداول وأزاهير وقوارب وأغاني وأناشيد وأصوات عالية ارتفعت يا عبد الخالق المختار.
لقد انتشر لهيب الحب.. ونشيدنا ملتهب بالألم.

فجعني موتك ياعبد الخالق

د.عواطف نعيم

حلمت. أن تلوح لنوارس دجلة وتهز جذع النخل ليتساقط اليك الرطب. وتكركر بنقاء طفل داعبت الشمس فضة جبينه. أحتج على موتك أخي أما كان عليك أن تكون معنا في بغداد التي احببتها فمنحتك ألقها وسخونة نبضها. كان عليك ان تكون معنا كي نشهد سويا فجر بغداد الجديد. شمس العراق تسطع على ارض الرافدين حيث لا (بساطيل) احتلال تجفل عصافير فرحتها ولا أباتشي يخنق رحابة سماءها. حيث العراق ذاك العراق الذي تحب ونحب كما هو. كان عليك أن تصمد وتلتقط بنبض قلبك الرقيق ضوء صباحها الأول. أحتج على غيابك الفاجع وأرفع صوتي بالعتب واللوم وأصرخ بالسؤال لم غادرت نجوم العراق وزنابقه أماكنها. من أطفأ زهو أرواحها من أذعر أفئدتها وملأ أحلامهم النضرة برماد الخوف والرعب ؟
ماذنب هؤلاء المبدعون العراقيون حتى يتناثرو بعيدا عن وطنهم وجذرهم ورئة نفسهم؟
أما آن لمن يمتلك القرار ويضعه في عراق النخيل والنفط والموت العبثي أن يلتفت الى هؤلاء؟ هؤلاء المبدعون الحالمون الذين طرزوا لياليا بالأمل واضاؤا قلوبنا بالفرح وزرعوا البهجة في كل بيت حلو فيه ضيوفا أحبة وصحبة طيبين!
انهم يتساقطون يذوون مثل نوارس عاشقة اضناها البعد وأمضها الخوف ..أحتج على موتك أخي عبد الخالق وأحتج على موت كل مبدع عراقي ماكان ذنبه الا انه كان مبدعا حالما ساحرا. أحتج لأجلهم ولأجلي كي لانموت ونذوي في غربة عن الوطن وفي داخل الاوطان. أحتج على من لا يلتفت لهذه الشريحة الرائعة التي تصنع حضارة الاوطان وتبني وتعمر بنيان الله على الارض الانسان. احتج على موتك اخي عبد الخالق وأرفع صوتي لحماية وحفظ رموز العراق وقاماته العالية. وبرغم أحتجاجي أمد يدي لأغمض عينيك الوادعتين وأمر على ابتسامتك الطفلة وأهمس وداعا أخي عبد الخالق وداعا بوركت حاضرا وبوركت غائبا ادعو لنا نحن الملتاعون. المحزنون. الخائفون على المعشوق الكبير العراق، ذلك الذي قتلنا والله عشقه وأوجع قلوبنا جرحه...وداعا لك وداعا لنا ومرحبا لفجر العراق القادم من صبرنا وأحزاننا وخساراتنا.

عبد الخالق وسام الوطنية

أ.د. عقيل مهدي يوسف

كنت على دراية بمواهب الفنان عبد الخالق المختار.. أتابع أعماله المسرحية والتلفزيونية بشغف وتعلق سروري حين قمت بالاشراف على رسالة الماجستير، التي بحثت في الأصول التربوية والمنهجية، في بناء الممثل بكلية الفنون الجميلة.. لفت انتباهي واقعيته العالية في الرجوع إلى المصادر العلمية الخاصة بموضوع الرسالة كذلك جمال خطه الأنيق، المورق، بمثل سماحة روحه، بأبهى الأشكال والألوان، الفكرية والجمالية والوجدانية...
مرة جائني بمبحث عن طريقة أحد الأساتذة وهو يقومها علمياً، فكانت النتائج سلبية وليست لمصلحة التدريسي، فعاضدته على المضي قدما، فالحكمة ضالة الباحث، والنتائج العلمية، هي حقيقة موضوعية، توصّل إليها هذا الفنان – الباحث بقدراته الأكاديمية المرموقة.
عاش هويته الوطنية، بصدق وشرف فاستحق وسام حب الشعب، وساهم بدوره الكبير في إثراء الثقافة الابداعية، ودعته في سوريا، وكان عريساً في مهرجان عيد..
لن تغيبك تقلبات الدهر وصروفه.. كيف يتسنى لقلب مثل قلبك أن يغادر وجيب قلوبنا ونحن بأحوج الشوق إلى سماع صوتك يترنم بلغة متماسكة محلّقة؟
ماذا سأقول لأصدقائك، وهم يحنون لما لا يمكن أن يجمله قول، وأنت تمثّل على المسرح خلاصة العصر؟
في زمن عراقي متشظي: أدعو لطبع رسالتك، وكتاباتك النقدية، ولقاءاتك في كتاب، وأنا واثق أن جملتك الابداعية ممثلا وباحثا، ستبقى اقماراً في ضمائرنا، وندى ذهبياً يجمل أحلامنا المستقبلية.. في غبش يومنا المربك.

عبد الخالق المختار.. فتى العراق

د. شفيق المهدي

منذ الساعة الأولى، اليوم الأول من دخوله أكاديمية الفنون الجميلة، التقيته عند باب لجنة القبول الخاصة قسم المسرح وكان بينهم الأساتذة الكبار جاسم العبودي وإبراهيم جلال ود. إبراهيم الخطيب.. وبدأ الاختبار، ليقدم المختار مشهداً مسرحياً، وليجيب على الأسئلة.. كان المتقدم الوحيد الذي أثار جدلاً في قبوله أو عدمه، كان هو هذا الفتى القادم من مدينة الحرية.. وكان الاختلاف واضحاً بين العبودي وابراهيم جلال، وحسم الأمر بالقبول، وبدأ بعدها مسيرته الفنية والشخصية الرائعة تلميذاً جاداً، كيساً، مع زملائه الذين استطاعوا أن يكونوا نقاطاً مضيئة في حياتنا الثقافية والفنية..
وفي مسرحية : ماكبث، التي قدمتها كان عبد الخالق المختار قوة لي وطاقة لا تنتهي، خصوصاً بعد أن التحق عبد الحميد الصائح معنا... مثالاً للعطاء والجمال والثقة بالنفس...
ولاجل هذا كله اسميته: فتى العراق.

بحثاً عن صديق

عبد الخالق كيطان

بعد جدب أمطرت السماء، وكأن المطر كان يبحث عن صديق فوجد ضالته أخيراً..
وبعد عناء وجدت صديقي، الذي كان يستقبلني بالبسمة مردداً: سميّي، خلي وصاحبي، والمجن الذي يدرأ عني... لم يكن عبد الخالق المختار غير ذاك الصديق ناصع البياض الذي يتشرف المرء بمعرفته، فهو يذهب بك على الفور إلى تخوم الصدق واللحظة الآمنة، وكم كنت أحتاج إلى ذلك، وأنا الذي لا أستطيع تحمل فكرة أن أكون وحيداً بلا صديق من هذا النوع.. كان اختباري الحقيقي الشخصي عندما غادرت العراق، إذ تحتم عليّ أن أمحو من ذاكرتي سنوات من الرفقة الصادقة والممتعة أو في الأقل أعيش في طيات تلك الذاكرة وحسب..
صوته ظل يأتيني من خلال الهاتف، وكلماته من خلال رسائل لم تنقطع حتى مع اختلاف الأمكنة وخطورة ذلك في زمن الديكتاتورية..
نخرج في بغداد من مسرح لندخل في الصالحية.. ونخرج من الصالحية لندخل في الأكاديمية، ومن الأكاديمة إلى ما لا حصر له من الأمكنة.. فكيف عليّ، علينا أن نتجاوز ذلك؟
رقد سميّي في المستشفيات، وبين واحدة وأخرى كنت أدور معه، ومعنا ثلة من الشرفاء، هل أنسى حكيم جاسم هنا؟، وبين محنة وأخرى لم أكن أملك غير الكلام، فأنا بياع كلام وهو يعرف ذلك.. فكتبت وكتبت.. وكان ما أكتبه يفرحه مثل ملاك.. وبين مستشفى الخيال ومستشفى عدنان كتبت ذات يوم، وتسامى على آلامه وهو يقرأ فرحاً:

ثمّة عجز ما
في الرأس
أو في الكليتين
أو في شارع الرشيد
ربما العجز
إننا نرتاد المقهى
أشبه بفاتحين خونة

حفظ القصيدة وبدأ يقرأها لي مركزاً على جملة عجز الكليتين!، ثم كانت رحلة الذهاب إلى عمان من أجل إجراء جراحة أخرى هناك.. فكتبت من جديد عن ألمه الطويل المرّ:

قلت له:
إعطني نصف هذا الألم
أنا سليل المناحات
العزاء الأكبر بالنسبة لشاعر فاشل
هو هذا الجفاف في اللغة

وكان العراق شريكاً في الألم، ذلك الألم الذي ما نتهى، وظلت فصوله فصلاً يتبع فصلاً.. تماماً مثل حياة ذلك الممثل الوسيم الذي دخل إلى الوسط الفني بقدم شبه مبتورة من أثر الحروب اللعينة ولكنه سرعان ما سرق الأضواء كلها.. وأنا الناحل القادم من اقصى الجنوب أدور معه بين الشوارع والقصص.. ندلف إلى مدينة الحرية، حيث منزل عائلته الكريمة، أو نذهب في رحلة لا نهاية لها بسيارته التيوتا الصغيرة في شوارع بغداد التي أحب، أحببنا، عشق وعشقنا.. هذا هو صديقي.. ويحق لي أن أفخر بذلك.. يعرفه الجمهور نجماً تلفزيونياً وأعرفه ابن عائلة كريمة وعاشق للحياة والناس والكتب.. نجلس في مقهى حسن عجمي فيرفع أذان المغرب ليقول بحسرة: كم يسحرني هذا الصوت الشجي..
عبد الخالق المختار وأنا شريكان في صنع سنوات من الجمال البادخ.. البهي، البعيد عن تفاصيل الضياع التي صنعتها المسدسات.. تكتمل دورة الحكايا، عندما تجلس شلة من الأصدقاء المسوسين بالمحبة بانتظار المعجزة في مقهى شعبي وسط العاصمة،، مقهى أردناه وكراً لعزلتنا وكآبة تسعينياتنا وسرية أحلامنا.. حتى صار المقهى ذاك عنواناً بدأ يستقطب العديد من الكتاب والممثلين والمخرجين والمنتجين.. وكان صاحبنا يذوي، ولكنه يكابر.. لا تسمع منه شكوى أو نبرة الم، بل كنا نشتكي بين يديه فيظهر عزيمة تذكرنا بعزائم الحكماء والمسنين.. وعبد الخالق يمضي في قطاره وحيداً، ذلك القطار المصنوع من الصراخ والعويل والآلام الإنسانية.. كيف يحتمل ذلك كله لوحده؟ لماذا كانت عيناه في المستشفى وهو بين مشارط الجراحين لا توحي إلا بالأمل؟ كيف استطاع جسده الطاهر أن يحتمل ذلك كله، ورأسه.. رأسه ذاك الذي علمني أشياء كثيرة كيف كان يداري أسئلته الوجودية وهو يحترق ببطء؟
ومن حافات العالم، حيث كنت أقيم، ظل يمدني بالأمل، فعدت لاستعادة بعض ملامح تلك الأيام وكان قريباً من الدنو أكثر من توقعي شخصياً.. في الليلة إياها كنت أتقلب على فراشي وحيداً عندما جاء هاتف الفجيعة، وأقصد فجيعتي الشخصية بصديقي.. همدت في الغرفة.. وفي المساء أمطرت السماء قطرات عجبت لكبر حجم الواحدة منها..
السماء رحيمة، إذ تبعث المطر في اللحظة (الصحّ)، والسماء رحيمة حقا إذ تمنحك صديقا هو عبد الخالق المختار، والسماء رحيمة أيضاً وهي تجعل منه أمثولة في الحب.

عبد الخالق المختار .. وداعاً

محمد مزيد

في مملكة الموت ، تقف مذهولين ، تعصر افئدتنا الدهشة ، ونتساءل ، قبل ان يأكل السنتنا اللهب الذي مبعثه حرقة دامية في القلب ، لماذا يأتي الموت الى فلان دون سواه ؟
في تلك المملكة ، التي نخاتل ونراوغ انفسنا لنتجنب الحديث او التفكير فيها ، يأتي الموت ، فيأخذ انسانا عزيزا ، ليس امامك الا ان تدع انفعالاتك تذهب الى اقصى مداها لتعبر، كيفما شاءت ، عن فداحة ذلك الفقدان .. ولا اظن ان تلك النفس المفجوعة ستراقب نفسها بسبب خروجها عن منظومة السياق الاجتماعي وتتصور ان احدا قد ينقدها بسبب الافراط بالانفعال .
نبكي الان فقدان عبد الخالق المختار الذي ذهب في الامس الى مملكة الموت ، ونحن نعلم اننا سائرون الى حتفنا ، اليوم او غدا او بعد اعوام ، لكن مما لا يمكن ان تستوعبه الكلمات ، ان فقدان الفنان ، او المفكر او الاديب ، يندرج في حالة مؤسية بأن غيابه هو في حقيقة الامر اختفاء واحد من اشد عناصر التأثير في الحياة ، ذلك لاننا نعتقد ان الفنان الجاد الملتزم هو الصانع الاول للجمال ، هو المعلم الاكثر عمقا وترسيخا لقيم الحياة النبيلة ، اعني الفنان الذي اوكل لنفسه المغامرة في البحث عن الحكمة والجنون في آن معا ، كي يصل بهما الى النزف المستعر .. سواء اكان ينزف دما او ينزف وقتا من جهده واعصابه في سبيل الارتقاء بمشروعه الى السمو والرفعة .. ولعل عبد الخالق المختار من هذا النوع النازف لكلا الصنفين من العذاب ، هدفه ان يضيء تلك المساحات المعتمة في حياتنا .
لا اعرف كتابة العزاء بحق صديقي الفنان الناضج ، الفنان المثقف عبد الخالق المختار ، الذي كان يلذ لي كثيرا محاورته في شؤون الفن والادب والمسرح والحياة ، اذ هو وقلة نادرة من فناننا ممن نسميهم النخبة المثقفة في الفن ، كنت اجد الحديث معهم لا ينتهي ..
يسكن المختار في منطقة سكناي ، في مدينة الحرية ، وعرفته قبل ثلاثة عقود ، ذلك الانسان الطيب المسامح الكريم ، وعرفته في ما بعد فنانا عصاميا ينشد الكمال والاتقان والبلوغ ، وعرفته مكافحا عنيدا قويا ضد مرض ارجو الا يبتلى به اي انسان ، وصمد « خلوقي » كما نسميه ، صمد كما يجب ان يصمد واحد مثله يمتلك تلك الروح الكبيرة ، صمد طويلا وهو يكابد الا يظهر حرائق الالم الذي يسببه مرضه اللعين امامنا ، مخاتلا لمرضه ، بضحكته المجلجة ، وصوته الهادئ الذي يشيع في النفس الاطمئنان ، حتى كدنا نتصور ، من فرط مخاتلته ومراوغته للمرض ، ان من الصعب على مملكة الموت ان تضم انسانا وفنانا مثله بين عوالمها ، غير ان الحق كان يجب ان يقول قولته ، ولابد من الاذعان للأمر .